من شؤون المسلمين والعالم

مؤتمر القمة الأفريقي

هل أسفر مؤتمر القمّة الأفريقيّ الأخير في نيروبي عن انتصار للنفوذ السوفييتيّ عبر ليبيا وقضية تشاد ، أم عن انتصار للنفوذ الأمريكي عبر المغرب وقضية الصحراء .. أم عن توازن مؤقت بين النفوذين استعداداً لجولة قادمة ؟ ..

وهل سيجد النفوذ الفرنسيّ بصورته الجديدة مع تبدّل الحكم في فرنسا طريقه إلى الاستمرار في السيطرة على (حصته) الكبيرة بين الدولتين الكبريين ؟ ..

هل سينفّذ القرار الصادر حول الصحراء الغربية أم ستعترضه تفاصيل المواقف حول غاية الاستفتاء ومحتواه وطريقة تطبيقه وتحديد من يشارك فيه ، وهل سيستمرّ تأثير (البوليساريو) على مجرى الأحداث أم سيتمّ إضعافها بوقف المساعدات الخارجية عنها ؟ ..

هل قبلت أغلبية الدول الأفريقية بالقرارات الملائمة لرغبات الحكم في ليبيا حسماً للنـــزاع أم تحت ضغط الصعوبات المالية الداخلية في تلك الدول وفي منظمة الوحدة الأفريقية .. وما هي حقيقة دور واشنطون وراء ذلك وقد صوّرت بحملتها السياسية الأخيرة ليبيا كدولة عدوّة أولى للمصالح الأمريكية في أفريقيا والمنطقة العربية ، ثمّ ساعدت على اتخاذ القرارات الأخيرة في صالح نظام حكمها ، عبر المغرب وغيره من الدول الأقرب إلى المعسكر الغربيّ ؟ ..

هل ستستمرّ سياسة مواجهة العنصرية في جنوب القارة على ازدواجيّتها في أفريقيا ودولياً ، بين المواقف السياسية المعارضة والعلاقات الاقتصادية المكثّفة ، أم ستتخذ شكلاً جديداً حقيقياً على ضوء ازدياد ضغط التحالف العنصري-الأمريكي-الإسرائيليّ على مستقبل القارة ؟

هل ستنجح جهود نظاميّ الحكم القائمين في مصر والسودان بالتعاون مع أنظمة حكم كينيا والصومال وسواهما عبر قنوات علنية وسرّية ، في إيجاد جبهة جديدة في المنطقة تعتمد على النفوذ الأمريكي لمواجهة جبهة الحكم القائم في ليبيا باعتماده على المعسكر الشرقيّ .. أم أنّ الجولة الأخيرة حسمت التطوّرات لفترة طويلة من الزمن ؟ ..

هذه الأسئلة وأمثالها هي التي يطرحها المحلّلون السياسيون في الصحف والمجلات العربية والغربية في الآونة الأخيرة، ويجيب كلّ منهم عليها على حسب اتجاهه الفكريّ وولائه السياسيّ ..

أمّا المحلّل الإسلاميّ بفكره وولائه ، فلا ينظر إلى الأحداث وخلفياتها بمنظار القرارات الصادرة على شكل حلول وسطية ومقايضات سياسية بين أنظمة الحكم ، إنّما ينظر من منطلق الإسلام وبمقياسه عبر منظار الشعوب نفسها ؛ أين دورها الحقيقيّ في تحديد هذه القرارات وتنفيذها المؤثّر على مستقبلها .. وما هو تأثير تلك القرارات على ذلك المستقبل مع غياب دور الشعوب في اتخاذها وفي تنفيذها وفي تجميدها على السواء ؟ ..

وما كانت حرب الصحراء نتيجة قرار صادر عن الشعوب ، وإنّما عن أنظمة الحكم .. ولكنّ الشعوب هي التي دفعت وتدفع الثمن ، زيادة في الفقر والبؤس والحرمان ، إلى جانب سقوط الألوف المؤلّفة من الضحايا .. وما وصلت حياة الفقر والبؤس والحرمان ولا التضحيات في أيّ يوم من الأيام إلى أيّ قصر من قصور الحاكمين والمنتفعين بالحكم ، كما أنّ حياة الحريّة والعدالة والكرامة لم تجد حتى الآن طريقها إلى شعوبنا الإسلاميّة في المغرب .. ولا في المشرق

ولئن كان المسلمون ولا يزالون يتطلّعون إلى وقف النـــزاع وإراقة الدماء ، فإنّ قضيتهم الحقيقية الأولى تتركّز على واقع حياتهم وضرورة تغييره من الجذور ، فذاك ما تعبّر عنه انتفاضاتهم كلّما وجدوا الطريق للتعبير عن أنفسهم من وراء السدود ورغم القيود .. وذاك ما يقضي قضاء مبرماً على سائر المشاكل القائمة ويقضي على نفوذ الشرق والغرب ، وعلى المصالح الذاتية والمنافع الأنانية وسياسات التسلّط الاستبدادية والاستغلالية .. ممّا يصنع القرارات هذه الأيام

وما كان المسلمون ليعترضون على أن يكون لدولة من دولها مركز توجيه وتأثير في جزء من القارة المسلمة بأغلبية سكانها ومساحة أرضها .. ولكن أن يكون هذا المركز اعتماداً على توطيد النفوذ السوفييتي -أو النفوذ الأمريكيّ- وعلى حساب شعبنا الإسلاميّ المنكوب في حرياته وأعراضه ، وفي مستوى معيشته وعشوائية الاستبداد به والاستغلال المفروض عليه .. هذا ما لا يمكن أن يؤدّي إلى (استقرار) وإنّما إلى مزيد من الكبت يولّد الانفجار .. وليست (الانتصارات الخارجية) -إذا صحّ وصفها بالانتصارات -إلاّ محاولة من الحاكمين أن يوجدوا لأنفسهم دعائم خارج الحدود ، وقد افتقدوا الدعائم الحقيقية داخل الحدود ، حيث فصلت بينهم وبين الشعب هوّة الإلحاد والاستبداد والإفساد والاستغلال ..

ولا يكاد يجد المسلمون عدوّاً أخطر على مستقبلهم ومصيرهم -لا سيّما في أفريقيا- من ذلك التحالف الرهيب بين (إسرائيل) والولايات المتحدة الأمريكية ، وقد ازداد خطره على القارة اعتماداً على (كامب ديفيد) في الشمال ، وعبر القوى العنصرية المسيطرة في الجنوب .. ولكن ، من الذي يتصدّى لهذا الخطر غير الشعوب ؟ .. فكيف تتصدّى

له والأغلال تكبّلها مصادرة للحريات ، وهدراً للطاقات ، وترسيخاً لظروف الفقر والبؤس والحرمان .. وإثارة للحروب والمنازعات والخلافات ؟ ..

إنّ أفريقيا قادرة على القيام بدور بعيد المدى على المستوى الدوليّ .. ولكنّها لن تستطيع القيام بهذا الدور إلاّ بتميّزها الحقيقيّ عن المعسكرين الشرقيّ والغربيّ ، وتخلّصها من ألوان النفوذ الأمريكيّ والسوفييتيّ والفرنسيّ ، وتمكين شعوبها من الاعتماد على الطاقات الذاتية والثروات الكبيرة لصناعة المستقبل وخدمة المصلحة المشتركة من دون المصالح الأنانية لأنظمة الحكم والمصالح الأجنبية

وليس أمام هذه القارة للتميّز بشخصيتها في هذا العصر سوى الإسلام .. بمبادئه لإقرار العدالة ، والتحرّر ، والشورى ، والمساواة ، والتقدّم لسائر البشر مسلمين وغير مسلمين

والعودة إلى الإسلام رسالة كبرى لا يمكن لمثل أنظمة الحكم السائدة الآن أن تحملها ، ولا يمكن حملها عن طريقها .. بل إنّ كثيراً منها يعادي هذه الرسالة التي تنقذ الشعوب وتتعارض مع المصالح الأنانية الموقوتة للحكام ، فيحارب دعاتها أو يعمل على تطويعهم وتحجيم دورهم داخل القوالب التي يريدها ، مع ضرب طاقات المخلصين فيه بأمكر السبل المكشوفة والمستترة

إنّ العودة لرسالة الإسلام .. هي (رسالة الشعوب) ، وجيل الشباب المخلص في هذه الشعوب قادر بعون الله عزَّ وجلَّ على سلوك الطريق الصعبة بكلّ ما تتطلّبه من صبر وجهاد وتضحية ، حتى ترتفع راية الإسلام الأصيلة الحرّة فوق كلّ راية غربية وشرقية ، وكلّ راية محلّية مزيّفة .. وحتى يستعيد برسالة الإسلام للشعوب حرياتها وحقوقها ودورها الحضاريّ التاريخيّ في حياة البشرية المعاصرة ومستقبلها